عبد الله بن محمد بن حميد

د. صالح بن عبد الله بن حميد
إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة
عضو مجلس الشورى

نشأته:

هو العالم العلامة البَحْر الحَبْر الفَهَّامة الفقيه الحافظ الشيخ أبو محمد عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز بن عبدالرحمن بن حسين بن حميد، ينتهي نسبه إلى بني خالد القبيلة المعروفة.

وُلد بمدينة الرياض في التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وعشرين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية. توفي والده -رحمه الله- وهو في السنة الثانية من عمره، وتوفيت والدته وهو في السنة السادسة من عمره، كُفَّ بصره وهو صغير بسبب مرض الجدري، ودخل الكتاب حيث قرأ القرآن وحفظه على المقرئ علي بن محمد مديميغ، وكان حافظًا له متقنًا ضابطًا، ثم إنه فيما بعد استظهره وقرأه مُجوَّدًا على إمام المسجد الحرام الشيخ عبد الظاهر أبي السمح رحمه الله.

وبعد حفظ القرآن في صغره أخذ في طلب العلم. فقرأ على الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ قاضي الرياض (ت ١٣٧٢هـ) - كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، والعقيدة الواسطية، والأربعين النووية، وزاد المستقنع، وشرحه الروض المربع.

وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد اللطيف (١٢٦٣-١٣٤٥هـ) التوحيد وآداب المشي إلى الصلاة.

كما قرأ على الشيخ حمد بن فارس (١٢٦٣-١٣٤٥هـ) مدة قصيرة، وذلك قبل وفاته بنحو عشرة أشهر قرأ عليه متن الأجرومية.

أما الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣١١-١٣٨٩هـ) علامة الجزيرة ومفتيها فهو شيخه الأكبر، فقد أخذ عنه جلّ علومه ومعارفه في كل الفنون وعلوم الآلة، فقرأ عليه في التوحيد والعقائد: التدمرية، والحموية، وكتاب التوحيد، وردّ الإمام أحمد على الزنادقة والجهمية، وفي الحديث: قرأ عمدة الأحكام، والمصطلح، وبلوغ المرام، وجلُّ هذه الكتب يحفظها الشيخ رحمه الله استظهاراً وسمع عليه صحيحيْ البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، والنسائي.

وفي الفقه: زاد المستقنع مختصر المقنع، وشرحه الروض المربع، ونظم المفردات، وشرحها مستظهرًا مختصر المقنع، ونظم المفردات، كما قرأ قطعة كبيرة من المنتهى وحفظ منه إلى باب الصداق. وفي الفرائض: متن الرحبيه والبرهانية، ومراجعات كثيرة في شرح الترتيب: إذ له به عناية خاصة. وفي النحو: قرأ الأجرومية، وقطر الندى، وشرحه، وملحة الإعراب، وشرحها، وألفية ابن مالك، وشرحها لابن عقيل، وحاشية السجاعي، والخضري عليها. وهو يحفظ هذه المتون كلها.

وارتحل مع شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم إلى بلد الغطغط، وقرأ هناك كثيرًا على شيخه.

وقد وهبه الله رغبة في العلم وحب التحصيل والاستزادة من العلوم والمعارف بشتى أنواعها وفنونها، من الشرعية، والعربية، والأدبية أصولاً وفروعًا فتأهل وبرز بين الأقران. مما جعل الشيخ محمدًا يعينه مساعداً له في التدريس في المسجد الذي يدرس فيه الشيخ. وهو المسجد المعروف باسم مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في حي دخنة من مدينة الرياض وكان ذلك المسجد يمثل جامعة إسلامية تموج بالطلاب من مختلف المناطق، بل ومن خارج الجزيرة.

صفاته الخَلقية والخُلقية:

كان -رحمه الله- معتدل القامة وهو إلى الطول أميل، مشرق الوجه، متوسط اللحية، مقرون الحاجبين، كثيف شعرهما، ربعة في الجسم مع ميل للنحافة، ضرير البصر. ولكن الله عوضه بحدة في الذكاء، وقوة في الحافظة، وسرعة الاستحضار ومعرفة الناس، وتمييز الأصوات في صورة نادرة كانت مثار الاندهاش لكل من عرفه أو اتصل به؛ **يقول الدكتور عبد العزيز الخويطر**:

«لعل المستمعين يذكرون برنامجًا في الإذاعة، يفتي فيه الشيخ عبد الله بن حميد- رحمه الله - ويرد على بعض المستفتين فكان المذيع يذكر اسم السائل كاملاً واسم بلدته، ثم يتلو السؤال وعند الرد يوجه الشيخ الرد على الشخص ذاكرًا اسمه واسم والده وجده وبلدته وسؤاله كاملاً قبل أن يبدأ بالفتوى، وكنا نندهش نحن المستمعين من مقدرته عليه -رحمه الله- من تذكره للاسم كاملاً واسم البلدة إذا ذكرت في السؤال، ثم يذكر السؤال بنصه، وليس بمعناه، ونحاول نحن أن نتذكر الاسم كاملاً فلا نفلح، وكان طموحنا لا يصل إلى الأمل في تذكر نص السؤال أو بعضه، ونكتفي بمحاولة استيعاب المعنى، وإذا تعددت أقسام السؤال فقد ننسى بعضًا منها، هو-رحمه الله- لا ينسى»(١).

وكان ذا هيبة ووقار، هادئ الشخصية، طويل التفكير، فيه أناة وحلم متميز، كما كان على جانب عظيم من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة والمناقب الفاضلة، وكان يكره ألفاظ التفخيم وأسماء التعظيم، ويمقت من يناديه بها أو ينادي غيره بل لقد كان يعقب على المتلفظ بها ولو كان ذلك في ناد أو محفل.

كما كان -رحمه الله- دينًا ورعًا صالحًا عفيف النفس، غير متزلف لذي جاه أو نفوذ، شديد الاحتمال، وكان يربأ بالعلم أن تنال به خطوة أو يُسعى به إلى مرتبة. كما كان فصيح اللسان، قوي الجنان، طويل الصمت، ذا جواب حاضر وذهن متقد. تعجبه العبارات الأدبية الراقية، والمنطق الحسن؛ ومن أجل هذا فهو

يحفظ من عيون الأدب ومقطعات الشعر ما يزين به مجلسه ويجلب فيه السرور لجلسائه.

وكان حريصًا على حسن الملبس مع تواضع وعدم تكلّف، كما كان يحرص على التنظيف والرائحة الطيبة، فهو يحب الطيب ويعتني به جداً حتى إنك لترى المجالس التي يرتادها أو يمر بها تعبق رائحتها مما تعرف من أن الشيخ قد مرَّ من هنا..

ومن ذلك تدرك أن حب الطيب والحرص على إصلاح النفس لايعارض في ماهو عليه -رحمه الله- من زهد وتواضع وورع.

والخلاصة: إنه كان -رحمه الله- حلو الشمائل، من عرفه أحبه وتعلق به مع حفظ المهابة.

الشيخ أستاذًا ومدرسًا:

للشيخ -رحمه الله- جهود متميزة في التدريس، وطريقةٌ في التعليم، كان لها أثر بالغ في إفادة الطلاب، وتميز المتميزين، وتجلي المواهب، وظهور المواهب الفردية لنجباء الطلاب.

أول عهده بالتدريس سنة ١٣٥٦هـ حينما كلّفه شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم بمساعدته في التدريس في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم -كما سبق- وذلك لما عرفه في المترجم له من نجابة وإدراك وكفاية، وذلك حين تكاثر الوافدون إلى الرياض فازدحمت حلقة الشيخ محمد. فكان الشيخ محمد يعقد حلقته في جانب والمترجم له يعقد حلقته في جانب آخر. وكان ذلك بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس. فدرّس كتب العقائد والتوحيد والفقة والعربية، ودَرَسَ عليه في تلك الفترة خلق كثير.

في شهر ذي القعدة عام ١٣٦٠هـ حينما انتقل إلى بلدة المجمعة من منطقة سدير عقد حلقاته العلمية في المسجد المعروف (بمسجد ناصر) فرتب للطلاب بعد صلاة

الفجر في التوحيد والنحو والفقه ومصطلح الحديث إلى طلوع الشمس .

وفي بيته درّس في بعض المطولات مثل زاد المعاد في هدى خير العباد، وأعلام الموقعين كلاهما للعلامة ابن القيم، والآداب الكبرى لابن مفلح، وشرح منظومة الآداب ومجموعة الرسائل النجدية، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، وكتب أخرى، ثم يتوقف ليبدأ مجلس القضاء وينظر في قضايا الناس .

وبعد صلاة الظهر يعقد حلقاته العلمية الثالثة في المسجد (مسجد ناصر) في قراءة التاريخ من كتاب (البداية والنهاية) للحافظ ابن كثير، وفي منتقى الأخبار لمجدالدين ابن تيمية .

وبعد صلاة العصر تكون الحلقة الرابعة إذ يدرس الطلاب فيها بلوغ المرام وكتبًا أخرى كالأصول الثلاثة، وكشف الشبهات، والعقيدة الواسطية .

أما بعد صلاة المغرب فمخصص لعلم المواريث، حيث يدرس الطلاب الفرائض .

وبعد العشاء غالبًا ما يخصصه الشيخ للمطالعات والمراجعات في بيته، أخذ على ذلك في المجمعة قرابة ثلاث سنين ونفع الله به خلقًا كثيرًا .

وفي يوم الجمعة، ربيع الثاني عام ثلاث وستين وثلاث مئة وألف، انتقل إلى القصيم على ماسوف يأتي مفصلاً في الكلام على أعماله .

فما أن حلّ في مدينة بريدة حتى عقد حلقاته العلمية في المسجد الجامع الكبير(٢) ، وقد زادت حلقات الشيخ كمّاً وكيفًا ففي المنطقة راغبون في العلم كثير، وبخاصة أن طريقة الشيخ تستهوي طالب العلم، وتكشف المواهب، وتشحذ الهمم، كما سوف يأتي بيانه مفصلاً في طريقة الشيخ في التعليم إن شاء الله .

فقد أصبح يغشى حلقات الشيخ ودروسه الوحدان والزرافات من منطقة القصيم وخارجها . وأوقات انعقاد الحلقات بعد صلاة الفجر، وبعد طلوع الشمس، وبعد الظهر، وبعد العصر، وبعد المغرب، فكانت دروس التوحيد، والعقيدة في كتاب التوحيد، ولمعة الاعتقاد، والدرة المضية، ومجموع الرسائل

النجدية والصواعق المرسلة لابن القيم .

وجلّ كتب الفقه المطبوعة آنذاك في الفقه الحنبلي كمختصر المقنع، وشرحه الروض المربع، والإقناع، وغاية المنتهى، والمغني، وكشاف القناع، وعمدة الفقه، وأخصر المختصرات، والطلاب يستظهرون مختصر المقنع .

وفي النحو ألفية ابن مالك استظهارًا مع شرح ابن عقيل عليها، ومراجعة بعض الحواشي كالخضري، والسجاعي : كما أن له عناية بتوجيه بعض الطلاب نحو المطولات فيقرأونها على الشيخ في الحلقة، وقل أن يطبع في ذلك الوقت كتاب في الأمهات إلا ويكلف الشيخ أحد الطلاب بقراءته : ومن هذه المطولات : كتاب البداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الطبري، وتفسيره، وتفسير ابن كثير والمغني لابن قدامة ومروج الذهب للمسعودي، وزاد المعاد، وأعلام الموقعين، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، وسمط النجوم العوالي، وبعض كتب الشافعية، ناهيك بكتب الحديث من الكتب الستة وغيرها من كتب الدنيا والدين الحاوية للمعارف الإسلامية عقيدة وفقهًا ولغة وآدابًا وتاريخًا .

وبعد الظهر يعقد الشيخ حلقة خاصة لمنسوبي وزارة المعارف الذين لا يتمكنون من حضور الحلقات أول النهار، كما تشتمل حلقة بعد العصر على دروس في مصطلح الحديث . وما بقي من وقت؛ فإن الشيخ يقضيه في المكتبة العلمية التي قام على إنشائها على ماسوف يأتي بيانه . ففي هذه المكتبة يعقد الحلقات في الضحى حين ترك القضاء .

أما بعد العصر وبعد الفراغ من حلقة المسجد؛ فإنه يقصد المكتبة من أجل المطالعة والنظر في بعض المطولات، وقد يرغب في النظر في بعض الكتب والمجلات العلمية المتخصصة كمجلة المنار للشيخ محمد رشيد رضا . فقد كان الشيخ المترجم له واسع المدارك راغبًا في الاستزادة من التحصيل والنظر في المتغيرات ومتابعة الأحداث من حوله .

وبعد المغرب حلقة القصيم فيه كحلقة المجمعة مخصصة للفرائض، وإن بقي

وقت فيقرأ فيه شيئًا من التاريخ كمروج الذهب للمسعودي، والمنتظم لابن الجوزي، وما بين أذان العشاء وإقامة الصلاة فتكون من القراءة لتفسير ابن كثير، ويعلق الشيخ فيه بعض التعليقات المناسبة من إيضاح غامض، أو بيان لدرجة حديث، أو تعليق واعظ، ثم بعد العشاء يراجع الشيخ في منزله ما قد يكون أشكل من مسائل فقهية أو لغوية و أسماء رجال وتوثيقهم وأسانيد حديث، وقد تستمر المطالعة والمراجعة إلى ما بعد منتصف الليل.

وفي عام أربع وثمانين وثلاث مئة وألف انتقل الشيخ إلى مكة المكرمة مجاورًا بيت الله العتيق فعقد حلقة بين المغرب والعشاء خلف مقام إبراهيم، كان يركز فيها على جانبي التوحيد والأحكام: ففي التوحيد حرص على إيضاح توحيد العبادة وبيان ما ينافيه من الشرك الأكبر أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر، وبيان البدع القادحة في التوحيد، والمعاصي المنقصة لثوابه، وتبصير الناس بأحكام دينهم؛ وبخاصة في مناسبتي رمضان والحج حيث يكثر العمار والحجاج. وفي هذه المواسم يطول عقد هذه الحلقات بعد العشاء ويجيب فيها عن أسئلة السائلين والمستفتين.

طريقة الشيخ في التدريس:

الدروس عند الشيخ -رحمه الله- على نوعين:

النوع الأول: أمهات المتون كمختصر المقنع (زاد المستقنع)، وألفية ابن مالك في النحو، والبيقونية في مصطلح الحديث، والرحبية في علم الفرائض.

هذه يقرأها الطلاب: استظهارًا على الشيخ ويستمع منهم ثم يقرأ واحد منهم أحد الشروح وبخاصة الروض المربع شرح مختصر المقنع، فإذا ما بلغوا بابًا أو بابين يعقد الشيخ جلسة يمتحن فيها الطلاب، ويسألهم عما مضى مسألة مسألة بأمثلتها وفروعها، ففي الفقه كثيرًا ما يسأل عن الأحكام وصور المسائل، وفي النحو يسأل عن الإعراب ويورد الشيخ أمثلة ويكلف الطلاب بالإعراب واحدًا واحدًا، ولكل واحد مثال خاص، فإذا ما عجز نَقَل السؤال إلى صاحبه الذي يليه أو نقله إلى مجموعهم.

وفي المواريث يسألهم عن الأحكام والأمثلة فيورد لهم مسائل حسابية ويكلفهم بقسمتها، ولا يطرح السؤال للجميع بل لكل واحد مسألة، فإذا ما عجز صاحب المسألة والذي يليه فقد يوجه السؤال للجميع ويطلب منهم الإجابة.

وللعلم؛ فإن الشيخ إذا أعطى الطالب مسألة فهو -رحمه الله- يحفظها، ولا تختلط عليه المسائل والأمثلة، ويظهر ذلك جليًا في المواريث، فإن الشيخ يوزع المسائل على الطلاب أولاً، وقد يكون في الحلقة ما يربو على ثلاثين أو أربعين طالبًا، فيعطي لكل واحد مسألة ليقسمها، فإذا ما وزع المسائل عليهم عاد إلى الأول فسأله عن مسألته وماهي نتيجة قسمتها ونصيب كل وارث، فيحدث أن بعض الطلاب إما أن ينسى مسألته أو قد يستصعبها فيضع لنفسه مسألة أسهل، فما يكون من الشيخ إلاّ أن يوقفه وينبهه بأن هذه ليست مسألته وإنما مسألته هي كذا وكذا وهذا من عجائب الشيخ وقوة حافظته فسبحان من يوزع المواهب.

النوع الثاني: المطولات.

فقد يرغب بعض الطلاب، وبخاصة كبارهم والنابهون منهم، أن يقرأوا على الشيخ بعض الكتب المطولة في الحديث، وشروحه، والعقائد والفقه، والتفسير، والتاريخ والأدب، أو أن الشيخ رحمه الله يوجه بعض الطلاب لقراءة مثل هذه الكتب في الحلقة بقصد تعويدهم وغرس حب المطالعة فيهم.

وقد أمكن للشيخ وطلابه قراءة عدد كثير منها، بل إن بعضها قد تمت قراءته أكثر من مرة.

ومن هذه الكتب: صحيح البخاري وشرحه فتح الباري وبقية الكتب الستة، وشروح بعضها، وبعض كتب السنة الأخرى: كتفسير ابن جرير، وابن كثير، والبغوي، والمغني لابن قدامة، وجملة من كتب المذهب كالكافي، والإقناع، وغاية المنتهى، وأغلب المطبوع من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، كالفتاوى المصرية وكتاب الإيمان، ورفع الملام، والإمام ابن القيم، كمدارج السالكين، وأعلام

الموقعين، وإغاثة اللهفان، والصواعق المرسلة، وكتب أئمة الدعوة؛ كشروح كتاب التوحيد، والدرر السنية، كما أن للشيخ وطلابه قراءات في كتب التاريخ: كتاريخ ابن جرير، وابن كثير، ومروج الذهب للمسعودي، والكامل لابن الأثير، والمنتظم لابن الجوزي، وصفة الصفوة له أيضًا وغير ذلك.

وكل ذلك لايخلو من وقفات للشيخ من توضيح غامض أو استدراك أو تنبيه أو ترجيح.

ونظرًا لهذه الكثافة العلمية والغزارة العميقة فقد رحل إليه الطلاب فأصبحت حلقاته تموج بالطلبة وتزخر بالمحصلين فتتلمذ عليه فحول وتخرج على يديه فطاحل من أعيان العصر وكبار الجيل مما سنأتي على ذكرهم إن شاء الله. سمعوا منه وتفقهوا عليه ونبغ منهم كثير فنفعهم الله ونفع بهم.

وقد كان الشيخ في تدريسه فصيح المنطق، واضح الكلام، جلي العبارة، يوضح المسائل، ويقعد القواعد، ويُقوِّم الأدلة، ويبسط المسألة ولا يأنف من أسئلة الطلاب، بل إنه ليثير المسألة بنفسه ويلقيها على الطلاب ويطلب منهم الإجابة، وقد يمهلهم للمراجعة في الجلسة القادمة وإذا استصعب الطلاب المسائل؛ فإنه يكرر الشرح.

شخصيته العلمية:

كان للشيخ شخصية جذابة نظرًا لما تجلى فيه من مهابة أهل العلم النابعة من تطبيقه لمسالكهم، واحترامه للعلم وأهله، وتقديره لكل من يظهر اهتمامًا به أو تبدو عليه ملكة أو موهبة.

وبالنظر في تكوين الشيخ العلمي وفي تأمل الشخصية العلمية لديه يلاحظ أن العامل الأول الذي يسبق كل العوامل ويتقدمها؛ القرآن الكريم فبه ابتدأ علمه فهو أشرف العلوم وأجلها، وأعطاه كل عنايته، وكرس له همته، فكان صاحبه طول حياته، صاغ به بإذن الله نفسه فاستوحاه في سيرته، وترسم خطاه، وقطع به ليله،

وتدبره، واسترشد به، وبنى عليه معارفه وعلومه، ليقينه بأنه غذاء القلوب وعلاج النفوس. أما في آخر حياته فقد كثرت منه تلاوته وتدبره والصلاة به آخر الليل، ويختمه تلاوة في أسبوع أو أقل من ذلك، كما كان يؤم به في صلاة التراويح في بعض السنوات كما تميز الشيخ بشخصيته الفقهية الاستنباطية النادرة، فمع أن الشيخ رحمه الله تفقه في مذهب الإمام أحمد، وحفظ متونه، واستوعب شروحه، ودرسه ودرّسه، وانتسب إليه لكن ذلك لم يحمله على التعصب، أو الانغلاق في فقهه وفتاواه وأقضيته، بل كان يتحرى الدليل ويتمثل الوقوف بين يدي الله عز وجل، ولقد منحه الله بصر الفقيه، وأداة المجتهد، فهو يحترم مذاهب الحق ويحفظ لكل ذي حق حقه، ويقدر لكل ذي منزلة منزلته، فكان كثيرًا ما ينظر في مختلف المذاهب وآراء أصحابها، ويطلع على حججهم وأدلتهم، ويأخذ ما يدين الله به مما يراه أسعد بالدليل، وأظهر في الحجة، وأوفق مع النص.

ومن أجل هذا تراه مهر في المذاهب والخلاف، وكل ذلك أظهر فيه ملكة تامة في حل معضلات المسائل: وسوف يأتي معنا في جملة أعماله انتداب الملك عبدالعزيز - رحمه الله - له إلى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف للنظر في قضايا متخلفة مستعصية لدى المحاكم، فنظر فيها وأنجزها، وحمدت سيرته فيها، فكان مثار الإعجاب علمًا وعقلاً، وحكمة وعدلاً.

لقد كان -رحمه الله - من كبار أهل العلم ذكاء، وحفظًا، واستقلالاً في الرأي، وقوة في الحق، لايخشى من إبداء رأيه، واضحًا في كل مسألة يبحثها. ولهذا كان له مواقف ومحاورات ونقاش وردود مع بعض أهل العلم في مؤلفات ومقالات ومكاتبات هذا في جانب الفقه والأحكام والاستدلال.

أما في التوحيد والعقائد فكان سلفي المعتقد يتحرى بدقة وشدة مذهب السلف الصالح من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين- وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان. حريصًا على نشر ذلك وبيانه والدفاع عنه والرد على المخالف، يغار على ذلك غيرة شديدة، يصدع بالحق، ويرد على أهل البدع في

خطابه وفي كتابه . بل كان يكاتب في ذلك من كان ذا وجاهة مكاتبه خاصة حتى كاتب الزعماء والرؤساء في بيان الحق وتصحيح المعتقد والتنبيه على مايراه من انحراف .

إضافة إلى اهتمامه المميز في هذين الأصلين العقيدة والأحكام فقد كانت له مشاركات مهمة في كثير من العلوم؛ بل إنها لمشاركات متميزة فالشيخ نحوي لغوي بارع متمكن من اللغة ممسك بناصيتها خبير بالإعراب والآداب .

أما الفرائض فكان بها إمامًا عَلَمًا، دقيقًا في حسابها غاية الدقة . وله معرفة بالنجوم السيارة ومنازلها والأبراج وأفلاكها والعلم المشروع وهو علم التسيير كما أن له إحاطة بالقبائل والأنساب وأصول الأسر .

أما في الأدب والشعر فله فيه ذوق رفيع، فهو يحفظ من عيون الأدب ومقطعات الشعر ما يؤنس به الجليس ويدفع به الملل، كما يحفظ من النكت العلمية والطرائف الأدبية والألغاز ما يطرحه على طلابه شاحذًا هممهم فاتحًا لمغاليق أذهانهم مستثيرًا لمواهبهم وقرائحهم .

أعماله:

كان الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ شديد الإعجاب به وبغزارة علمه وسداد رأيه وصفاء ذهنه وقوة شخصيته حتى قال عنه : "لو أردت أن أولي بلدًا فيها أمير وقاض في شخصية رجل واحد لكان ذلك هو الشيخ عبد الله بن حميد" .

لقد بلغ الشيخ -رحمه الله- في علمه ومعرفته ودأبه ومثابرته مكانًا سامقًا ومنزلاً رفيعًا تأهل فيه لكل عمل جليل .

قضاء الرياض:

ومن ثم فقد وقع نظر الملك عبد العزيز- رحمه الله- على الشيخ ليوليه قضاء الرياض .

ففي شهر المحرم عام١٣٥٧هـ استدعاه الملك عبد العزيز ليكلفه بالقضاء فامتنع

الشيخ امتناعًا شديدًا حتى صار بينهما شد وجذب، وكان مما قاله الملك عبد العزيز: «لئن لم تقبل لأبعثنك إلى منطقة نائية موبوءة» وكان مما قاله أيضًا «إن ابن زاحم- وهو الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم [١٣٠٠-١٣٧٤هـ]-؛ وهو أحد قضاة الرياض - رحمه الله رحمة واسعة- قد زحمته الأمور وليس لجماعتك إلا أنت» فلم يزل الشيخ مصرآ على موقفه مما دعا الملك عبد العزيز أن يقسم عليه بالله العظيم أنه إن لم يقبل ليبعثنه إلى تلك المنطقة النائية الموبوءة، والملك قادر على تنفيذ وعيده، فما كان من الشيخ إلا الانصياع؛ فباشر العمل وحمد الناس سيرته في القضاء نزاهة وتجردًا، وحكمة وعدلاً، فظل في فض المنازعات بين الناس، وينظر في قضاياهم بعين الإنصاف وتحري الحق، واختص الشيخ ابن زاحم بقضايا البادية ومشكلات السوق، واختص الشيخ عبد الله بن حميد بما عدا ذلك من الدماء والأموال والعقار ونحوها، كما كان يقوم أيضًا بعمل الشيخ ابن زاحم إذا سافر أو طرأ عليه طارئ. فظل على ذلك قرابة ثلاث سنين.

قضاء منطقة سدير:

ثم خلف العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد العزيز العنقري (١٢٨٧-١٣٧٣هـ) -رحمه الله- في القضاء عام ١٣٦٠هـ حيث طلب الملك عبد العزيز من الشيخ التوجه إلى بلدة المجمعة ليحل محله في القضاء والتدريس، فما وسعه إلاّ الامتثال فتوجه إليها كما سبق في ذي القعدة عام ١٣٦٠هـ فسار في القضاء سيرته المعهودة من النزاهة والقوة إضافة إلى قيامه بالتدريس في (مسجد ناصر) كما مرّ وصفه. وكان قضاؤه شاملاً لمنطقة سدير كلها.

قضاء القصيم:

بعد وفاة علامة القصيم العالم الرباني الشيخ عمر بن محمد بن سليم عام ١٣٦٣هـ -رحمه الله- استدعى الملك عبد العزيز الشيخ عبد الله بن حميد. وكان الملك مقيمًا في الروضة الموسومة بـ(روضة خريم) شرق مدينة الرياض فبعث الملك

للشيخ أحد رجاله وأمره بالتوجه إلى جلالته، وكان رأي الملك أن ثلمة عالم كالشيخ عمر بن سليم لايمكن أن يسدها إلاّ من كان ذا كفاية عالية كالشيخ ابن حميد، فعند وصول الشيخ أبلغه الملك برغبته في أن يتوجه إلى بريدة قاضيًا ومدرسًا في منطقة القصيم خلفًاللشيخ عمر بن سليم، فامتنع الشيخ امتناعًا شديدًا، وأبدى مختلف الأعذار، ولكن الملك عبد العزيز رفض اعتذاره وأصر على إلزامه، فقابل الشيخ الإصرار بإصرار مثله، ومما قاله الشيخ: (لو وضعت السيف على رأسي ما امتثلت).

ولما رأى الملك إصرار الشيخ قال إذن سنجعل على القضاء الشيخ محمد بن حسين (١٣٠٨-١٣٨١هـ) - رحمه الله - وتقتصر على التدريس فوافق الشيخ فشد رحاله إلى القصيم فوصل بريدة يوم الجمعة في عشرين من ربيع الثاني عام ١٣٦٣هـ، ونصب نفسه للتدريس، وعقد حلقاته في جامعها الكبير كما سبق، إضافة إلى قيامه بالإمامة وخطبة الجمعة في جامع بريدة الكبير؛ (جامع خادم الحرمين الشريفين).

وفي شعبان عام ١٣٦٣هـ صدر إليه التكليف بالقيام بالقضاء من قبل الملك عبدالعزيز، فلم يسعه إلاّ الامتثال لما رأى من الأحوال الداعية لذلك، فحمدت سيرته في القضاء قوة وعدلاً، وسماحة وفضلاً.

الانتداب إلى الحجاز:

في عام ١٣٧٢هـ انتدبه الملك عبد العزيز - رحمه الله - إلى الحجاز للنظر في قضايا متخلفة، إذ كان يوجد في محاكم مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف قضايا عسر البت فيها من قبل قضاة سابقين وطال فيها النزاع وتشابك فيها الخصوم فرأى الملك بثاقب نظره أنْ ليس لها سوى الشيخ عبد الله بن حميد لبعد نظره، ودقة فقهه، وقوة فصله، فانتدبه للنظر في هذه القضايا، فمكث هناك سنة كاملة متنقلاً بين هذه المدن يمكث في كل مدينة المدة الكافية للنظر في قضاياها، فأتى عليها

جميعًا، وأمضى فيها حكمه، بتوفيق من الله وعونه، فحمدت له فيها السيرة ووصل الحق إلى أهله وخسر المبطلون، فكان له الثناء الجميل من قبل ولاة الأمر والمسئولين، ومن قبل العامة، مع ما يرجى إن شاء الله من ثواب جزيل عند المليك المقتدر. ثم عاد إلى القصيم قائمًا بعمله في القضاء والتدريس والنظر في أمور الناس وحل مشكلاتهم والسعي في قضاء حوائجهم مما سوف يأتي له مزيد بسط في أعماله من غير القضاء والتدريس.

واستمر في القضاء حتى أواخر عام ١٣٧٧هـ حيث آثر السلامة وطلب الإعفاء فرفع تلك الرغبة إلى الملك سعود بن عبد العزيز-رحمه الله -فأجيب طلبه بعد مراجعات وإلحاح شديد ثم تفرغ للتدريس

ومكث في القصيم حتى عام ١٣٨٤هـ حين انتقل للعمل في مكة المكرمة رئيسًا عامًا للإشراف الديني على المسجد الحرام.

وقد أسف أهل القصيم لفراقه، فقد عرفوه أبًا لصغيرهم، وأخًا لكبيرهم، ففقدوا فيه المعلم ذا الحلقات العلمية المشهورة، المصلح ذا الإصلاحات الكبيرة، وقد كان يبادلهم الشعور نفسه، فقد أحبهم وأحبوه، ولكن وكما يردد أهل القصيم في أمثالهم (ماطاب لك مادام لك)(٣) غير أنه قد بقي اتصالهم به وثيقًا حتى بعد رحيله، وبخاصة في بلدة مثل مكة المكرمة شرفها الله التي تجمع أبناء المسلمين من كل صقع.

مستشار الملك للشئون الدينية:

في عام ١٣٧١هـ استدعاه الملك عبد العزيز -رحمه الله- وعرض على فضيلته منصبًا رأى أنه لابد من إحداثه حين توسعت الدولة وتشعبت أمور الحكم ورسخت دعائم الدولة، واحتاجت إلى مزيد من النظر في تراتيبها الإدارية، فاستحدث منصب (مستشار الملك في الشئون الدينية).

ولكن ما إن علم أهل القصيم بهذه الرغبة الملكية حتى أرسلوا وفدًا كبيرًا منهم

لمقابلة الملك وطلب إبقاء الشيخ عندهم لما رأوه من نفع في البلاد والعباد؛ قضاءً وتدريسًا وفتيا وجمعًا للكلمة، فألحوا على الملك في ذلك وهو يتأبى، فلما رأى إصرارهم العجيب رقّ لهم، وحمد لهم صدق تمسكهم، فما كان من الملك إلاّ أن جمع بينهم وبين الشيخ في مجلس واحد. ثم قال: هذا هو الشيخ عبد الله وها أنتم أيها الوفد.

ثم وجه الحديث إلى الشيخ قائلاً: " هؤلاء أهل القصيم يريدون عودتك إليهم وأنا إمامك ومحتاج إلى بقائك عندي، فإن اخترت البقاء عندي فأنا إمامك وواجبك الطاعة لي، وإن أبيت واخترتهم فالله ربنا وربك ". فأجاب الشيخ: "أنا في السمع والطاعة إن أمرتني بالبقاء بقيت وأن أمرتني بالذهاب معهم فلا يسعني إلاّتنفيذ ماتأمرون به".

فسكت الملك قليلاً ثم قال: مادام أنهم قد توجهوا من بلادهم وطلبوني فإني أوثرهم على نفسي، عندئذ عاد الشيخ إلى منطقة القصيم وقرت أعينهم بعودة شيخهم إليهم.

المكتبة العامة في بريدة:

من مشاريع الشيخ العلمية في القصيم أنه استصدر الموافقة السامية لإنشاء مكتبة عامة لما يعرفه - رحمه الله - من قيمة الكتاب وبناء طلب العلم عليه، فلما كان عام ١٣٧٥هـ أنشئت المكتبة وخصص لها بناء على الطراز المعماري الحديث في وقته، فجلب لها أمهات الكتب في الحديث والتوحيد والفقه والتفسير والمصطلح والنحو والأدب والتاريخ والاجتماع والدوريات وغيرها من ألوان الفنون والمعارف.

ومن أجل أن يُعوِّد الشيخ الطلاب على ارتياد المكتبة صار يعقد فيها بعض اللقاءات العلمية كما مرّ معنا في تدريسه ودروسه.

كما كان يخصص لنفسه فيها وقتًا خاصًا به يرتادها مع بعض خواص طلابه مع بقاء المكتبة مفتوحة في الصباح والمساء ليعتاد الطلاب ارتياد المكتبة، وكان يتعاهدها

بتزويدها بالكتب.
فلما غادر القصيم إلى مكة ضمت المكتبة إلى وزارة المعارف.

الجامع الكبير في بريدة:

من المعلوم ما عليه المساجد في الجزيرة العربية بعامة وفي نجد بخاصة؛ من بنائها باللبن والطين وسقفها بالجريد وجذوع النخيل، مما يجعل بناؤها ضعيفًا وعمرها قصيرًا، فلا تستطيع الصمود طويلاً أمام مياه الأمطار وعاديات الرياح.

وحينما بدأت تظهر في البلاد المواد الجديدة في البناء من الخرسانة المسلحة، كان الشيخ - رحمه الله - من أول المسارعين إلى الاستفادة من هذا الجديد المفيد فكان أول ما سعى إليه؛ إعادة بناء الجامع الكبير، فرفع الأمر إلى جلالة الملك سعود -رحمه الله- فبادر بالاستجابة فتمت إعادة بناء الجامع وتوسعته على نفقة الملك سعود - رحمه الله - وإشراف الشيخ، وفرغت عمارته عام ١٣٧٩هـ واستمر على ذلك حتى جاءت إعادة بنائه حديثًا على نفقة خادم الحرمين الشريفين -يحفظه الله- عام ١٤١٦هـ.

مساجد ومشاريع أخرى.

كما كان للشيخ - رحمه الله - مساعٍ مشكورة في إعادة ترميم كثير من المساجد في منطقة القصيم، ووقف بعض البيوت على الأئمة والمؤذنين وصرف مرتبات لهم قبل أن ينتظم الحال لدى وزارة الأوقاف.

الإشراف الديني على المسجد الحرام:

رأى الملك فيصل - رحمه الله - (١٣٢٤-١٣٥٩هـ) أن هناك حاجة لإنشاء جهاز خاص يدير شئون المسجد الحرام إذ كانت المسئولية فيه موزعة بين عدة إدارات؛ من وزارة الأوقاف، ورئاسة القضاء، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها فرأى أن يجمع ذلك في جهاز واحد فكان الرجل المناسب هو الشيخ عبد الله بن حميد؛ فهو يجمع بين العلم والديانة، وبعد النظر، وحسن التعامل مع أصناف

الناس، ولعل حسن السمعة التي خلفها حين أنهى القضايا المتخلفة في الحجاز عام ١٣٧٢هـ كانت من وراء هذا الاختيار، فلما أبدى الملك فيصل رغبته ما وسع الشيخ إلا الاستجابة، وبخاصة أنها أعمال ليست كأعمال القضاء فكان ذلك عام ١٣٨٤هـ. واسم الجهاز: الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام.

فانتقل الشيخ من القصيم إلى مكة المكرمة في ذلك العام، وباشر عمله، ورتب الإدارة، واتسعت دائرة اتصالاته بعلماء الحرمين الشريفين، وبخاصة علماء المسجد الحرام والمدرسين فيه، كما تكشفت اتصالاته بالوافدين إلى المسجد الحرام من أهل العلم والصلاح في مواسم الحج والعمرة. كما شرع الشيخ في التدريس في المسجد الحرام بين المغرب والعشاء خلف مقام إبراهيم في درس واعظ، وحلقة مشهورة، وفتاوى رصينة، كما مرّ في الحديث عن التدريس.

وكان من أهم ما اهتم به الشيخ تنظيم شئون المسجد الحرام في أئمته ومؤذنيه.

فقد كان الآذان متعدداً إذ كان يوجد في كل منارة من منارات المسجد الحرام مؤذن يؤذن فألغى الشيخ ذلك وجمعهم على مؤذن واحد، إذ إن مكبر الصوت كاف في إسماع الأذان إلى جميع الأنحاء.

وصار المؤذنون يأخذون نوباتهم من خلال جدول مرتب كل مؤذن يعرف أوقاته.

كما كان الشيخ -رحمه الله- يحب أهل العلم ويكرمهم ويدنيهم من مجلسه، وبخاصة علماء المسجد الحرام ومدرسوه فقد كانت لهم عنده منزلة خاصة وحظوة متميزة، فكان يعتني بهم، ويسعى في تهيئة الجو المناسب لهم ليقوموا بمهمة التدريس على خير وجه، وسعى في صرف مكافأة لهم تشجيعًا لهم، واعترافًا بجهودهم وبفضلهم.

التكبير الجماعي في العيدين:

كان من المعتاد في العيدين أن يقوم المؤذنون في المسجد الحرام بالتكبير قبل

صلاة العيد بصفة جماعية بحيث يتحلقون حول المكبر فيؤدون التكبير جماعياً. فلم يستحسن الشيخ - رحمه الله- ذلك وأمرهم بالاكتفاء بمؤذن واحد يقوم بالتكبير المشروع في العيد.

معهد الحرم المكي:

عرف عن الشيخ حبه للعلم، وسعيه في نشره، ورعايته لطلابه وحدبه عليهم وحبه لهم، وعلى الرغم من أن الشيخ تلميذ حلقة وشيخ حلقة ومشجع للحلقات العلمية، لكنه رأى بثاقب نظره ما عليه متغيرات العصر، وزهد الناس في التعليم الديني، وانصرافهم إلى التعليم النظامي بقصد نيل الشهادات، وتلمس وجوه الأعمال، فاقتضى نظره إنشاء معهد داخل أروقة المسجد الحرام يقوم على طريقة الحلقات لكنه يأخذ من التعليم النظامي محاسنه من حيث الضبط في الحضور والانصراف في المواعيد، واستقرار المواد العلمية التي يرغب تدريسها، ويأخذ من الحلقات تحلق التلاميذ حول الشيخ، واقترابهم منه، والتفافهم حوله في داخل أروقة المسجد الحرام، مما يعطي صفة خاصة لهذه الدروس ومما يرجى معه نيل بركة المكان وفضل العلم.

وبالفعل تم تأسيس معهد الحرم المكي عام ١٣٨٤هـ معادلاً مرحلتيْ المتوسطة والثانوية واختار له المعلمين العلماء الأكْفاء فكان نبتة صالحة؛ يخرج نباته بإذن ربه، فتخرجت منه الأفواج تلو الأفواج، ولا يزال عطاؤه مستمراً وثماره متواصلة من أبناء البلاد وخارج البلاد من بلاد المسلمين كافة.

رئاسة مجلس القضاء الأعلى:

حينما ترك الشيخ القضاء عام ١٣٧٧هـ في القصيم، لم يفتأ المسئولون- وفقهم الله- يعرضون عليه مناصب قضائية عليا ولكنه يأبى لما يدركه -رحمه الله- من شدة القضاء، وعظمة الوقوف بين يدي الله عز وجل، فقد عرض عليه رئاسة محكمة الرياض، ورئاسة محكمة مكة المكرمة، ورئاسة محكمة التمييز بالمنطقة

الغربية، ورئاسة محاكم الأحساء ورئاسة محاكم القصيم، فأباها جميعًا طلبًا للسلامة. ولكنه قَبِل أعمالاً إدارية، كرئاسة الإشراف الديني على المسجد الحرام، ونظرًا لسمعة الشيخ وبعد صيته في القضاء وقوته فيه فلم يفتأ المسئولون -يحفظهم الله- من بذل المحاولات لإقناع الشيخ بالقبول حتى كان عام ١٣٩٥هـ، حيث رغب منه الملك خالد بن عبد العزيز -رحمه الله- أن يتولى رئاسة المجلس الأعلى للقضاء؛ وهو منصب جديد استحدثه الملك خالد -يرحمه الله- ليكون المرجع النهائي في القضاء وله مهمات أساسية من الفصل فيما يختلف فيه القاضي مع هيئة التمييز، والبت في أحكام القصاص والحدود، وتعيين القضاة وترقيتهم وإعفاؤهم وإحالتهم للتقاعد بعد استصدار الأمر السامي في ذلك، حسب ما نصت عليه نظم مجلس القضاء ولوائحه، فما وسع الشيخ إلا الامتثال لطلب الملك فتولى رئاسة المجلس واستمر فيه حتى وافاه الأجل -رحمه الله- وهو في هذا المنصب مرجعًا لجميع قضاة البلاد، ينظر في أحكامهم وأحوالهم واستحقاقاتهم، فكان محمود السيرة، حريصًا على توجيه القضاة وتذكيرهم بمهمات أعمالهم، حافظًا لحقوقهم حاميًا لجنابهم كما كان قوي الموقف فيمن يخالف.

سيرته في القضاء:

لقد رزق الله الشيخ علمًا وفطنة، وذكاء ودهاء، وقوة ودقة، يدرك مرامي الألفاظ، ولحن القول، وميل اللحظ، مهيبًا في مجلس القضاء، لا يطمع قوي في حيفه، ولا يخاف ضعيف من ظلمه، عرف بشدته في الحق، وصرامته في الحكم، ولي القضاء فقام فيه أحسن مقام بالعدل والقوة، وكان له فيه مجلس مرهوب وله في ذلك وقائع مشهورة وقصص غريبة.

من ذلك:

أنه حينما تولى رئاسة مجلس القضاء الأعلى، مرت به قضية كان قد حكم بها في القصيم قبل ثلاثين عامًا، فلما كان القارئ يقرأ عليه الصك الذي دونت فيه

القضية إذا هو يمر بعبارة فيها تحريف، فما كان من الشيخ إلاّ أن سبَّح الله واسترجع وقال: سبحان الله لقد قلت لهم في حينه أن يصلحوها بصيغة كذا فسامحهم الله ألم يصلحوها فانظر، كيف كان الشيخ مستذكرًا للقضية برمتها وبعباراتها وألفاظها.

المجالس والمؤتمرات والهيئات واللجان التي رأسها وشارك فيها:

- عضو هيئة كبار العلماء في المملكة.
- رئيس المجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.
- رئيس لجنة جائزة الدولة التقديرية.
- عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.
- عضو المجلس الأعلى العالمي للمساجد في رابطة العالم الإسلامي.
- عضو المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة.

المعهد العالي للقضاء والرسائل العلمية:

الشيخ- رحمه الله- له تعلق بحلقات التدريس في المساجد، فهو يحبها ويعلق عليها آمالاً كبيرة في التحصيل والأثر والثمرة، ويرى فيها بركة العلم وآثار الإخلاص، إذ إن صاحبها -في الغالب- لا يتطلع إلى شهادات، ولا يروم وظائف ومناصب كالتي تقود إليها غالبًا الشهادات الممنوحة بالطرق النظامية، وإن كان -رحمه الله- يقدر لكل ذي علم علمه، ولكل ذي فضل فضله، ففضل الله واسع وفوق كل ذي علم عليم، فكم برز من ذوي الشهادات من يشهد لهم بالعلم والفضل وعظيم الأثر.

ومن أجل هذا؛ فإن الشيخ -رحمه الله- كان حفيّاً بالتعليم النظامي يقدر أهله، ويشجع على الانتساب إليه، والالتحاق به، بعدِّه فرصًا علمية متاحة، وصلاح النية وحسن القصد وتمحض الأخلاص مرده إلى العبد وذلك سر بينه وبين ربه.

ومن أجل هذا؛ فإنه حينما أنشئ المعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٦هـ في عهد الشيخ محمد بن إبراهيم- رحمه الله- طلبوا منه التدريس فوافق واستمر في التدريس فيه كل عام.

وكان المعهد يضم صفوة من كبار الطلاب وحملة الشهادات أمثال: د. عبدالله التركي، والشيخ صالح بن محمد اللحيدان، والشيخ عبد الله بن منيع، والشيخ صالح الأطرم، والشيخ عبد الله بن جبرين وغيرهم كثير.

وحينما بدأت الجامعات السعودية تمنح الشهادات العليا في الماجستير والدكتوراه وطلبوا منه الاشتراك في مناقشة رسائل الطلاب وافق على ذلك.

بل إن أول رسالة علمية في الدكتوراه في الفقه الإسلامي في المملكة نوقشت على يديه -رحمه الله- وهي رسالة فضيلة الدكتور شرف علي الشريف كما كان عضو مناقشة رسالة فضيلة الشيخ الدكتورصالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء حاليًا.

وفي كل ذلك دلالة على حب الشيخ للعلم، وشدة تمسكه به، وتشجيعه لأهله في أي سبيل سلكوا في تحصيله ما دام طريقًا مشروعًا.

الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعي في قضاء حوائج الناس:

لم يكن الشيخ -رحمه الله- ممن يؤثر الاحتجاب عن الناس، أو يحب العزلة بل كان شيخ عامة متصلاً بالحياة والمجتمع، متواصلاً مع الحكام، حافظًا حقهم، قائمًا بواجب النصح نحوهم: ناهيك بأن من كان مثله في غزارة العلم والجرأة في الحق إلا ويلتفّ الناس حوله، وتتعلق به العامة وأصحاب الحوائج، وقد تميز بقوة الشكيمة، وسداد الرأي، وصواب الفكر.

فتصدى للدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وشد أزر الدعاة ورجال الحسبة.

كان يقوم بالحق، ويأخذ به الناس العامة منهم والخاصة، لا يخص بأفكاره أحدًا دون الآخر.

وكان يكره الظلم ويقاومه أشد المقاومة، وينتصر للمظلوم، ويجتهد في رفع ظلامته، وإيصال الحق إليه، وانتزاع الحق من الظالم، ومواقفه في القضاء والاحتساب في ذلك بارزة.

وليس من المبالغة القول إنه قام بلسانه وقلمه وعلمه وعمله أسلحة لحراسة الحق ونصرة الدين والصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن الجوانب البارزة في ذلك بعض مكاتباته ورسائله وردوده وحواراته لإحقاق الحق، ورفض الباطل، لا يخشى من إبداء رأيه في مكاتبات خاصة أو من خلال وسائل الإعلام حسب ما تقتضيه الحال، ومن أظهر مواقفه التزام السنة وإنكار البدع والمحدثات في الدين، فقد كان له في ذلك قدم صدق وغيرة على سلامة المعتقد ونهج السلف الصالح، يقرر ذلك وينافح عنه في دروسه وحلقاته ومكاتباته ومؤلفاته وفي مجالسه ومناظراته.

أما في باب الحوائج وأمور الناس فكان ذا رفق وتؤدة، يحنو على الضعفاء، ويرفع من شأن المستضعفين، فهو كثير التودد لا يؤذي أحدًا ولا يحسد أحدًا، ويسعى في الشفاعة لمن لا يملك أن يبلغ حاجته بنفسه.

واقعة حوار:

عرف عن الشيخ - رحمه الله - أنه حين يأخذ في إيضاح المسائل وتقعيد القواعد وتقديم الأدلة وإيراد الاعتراضات في المسائل تراه يلتزم بالأسلوب العلمي الهادئ الرصين مع وضاحة في اللفظ، وبلاغة في العبارة، ودقة في تخير الكلمات. ومن مزايا مناظراته أنه يتجنب الخوض في دقائق الجزئيات والتفصيلات التي يتسع فيها مجال الخصام والجدال؛ بل يعتمد على نصوص الوحيين (قال الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم على البدهيات الجلية في الأدلة، والمسلمات، وعلى التناقضات الواضحة لدى المحاور التي لا تحتمل تأويلاً.

وشخصية مثل شخصية ابن حميد- رحمه الله- تميزت بعلمها وقوتها كجبل شامخ لا يسلم من ارتطام الأمواج في قاعه وسفحه؛ وبخاصة في مثل موقعه في المسجد الحرام ومواسم توافد الناس في الحج والعمرة بمافيهم العلماء من كل الفرق والمذاهب، فلقد كان يتوافد فيما يتوافد المخالفون ويحاولون إثارة بعض المسائل العلمية والخلافات المذهبية، وقد يدفعهم إلى ذلك ما يظنون من عدم معرفة علماء الحرمين الشريفين بمذاهبهم ومصادرهم، فكان ذلك يحتاج إلى شجاعة علمية، وحمية دينية، وصبر ومصابرة، وحجة ناهضة ولقد وهب الله الشيخ كما سبق - سلاحًا مضاء في هذه المناظرات، ونفسًا طويلاً في هذه المحاورات.

وهذا نموذج من إحدى المناظرات التي عُقدت في المسجد الحرام واستمرت ثلاثة أيام:

في عام ١٣٨٨هـ وبينما كان فضيلته يلقي الدروس بعد المغرب في المسجد الحرام خلف مقام إبراهيم - عليه السلام - في موسم الحج، وفي حشد عظيم تغص بهم حلقة الشيخ من طلبة العلم والحجاج وغيرهم في عشر ذي الحجة، كان موضوع الدرس قوله عليه الصلاة والسلام: (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله. الحديث) فبين الشيخ معنى كلمة التوحيد، وما أثبتته من إخلاص العبادة لله وحده، وما نفته من عبادة ما سواه، وبيان شروطها، فبينما هو كذلك إذ تقدم رجل من علماء إيران مدرس في جامعة قم يسمى (السيد محمد) فسأل الشيخ قائلاً: ما تقول في طلب المدد من أهل البيت، وسؤالهم تفريج الكربات، وإغاثة اللهفان نظرًا لمكانتهم عند الله ومالهم من المنزلة السامية؟ فأجاب فضيلته: بأن هذا هو الشرك بعينه، وهو الذي نفته كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله» والذي بعثت من أجل النهي عنه رسل الله. فقال السيد/ محمد: لا أسلم لك هذا حيث إن طلب المدد منهم ليس هو عبادة وإنما هو شفاعة منهم لي عند الله فلا يصل إلى حد الشرك. فرد فضيلته هذا هو عين العبادة. وسمه ما شئت أن تسميه فما دام أن العبد يصرف إلى المخلوق مالا يقدر عليه إلا الله من تفريج الكربات، وطلب العون من

غيره فهذا هو الشرك، مع أن الشفاعة لا يجوز طلبها من الأموات ولا من غيرهم وإنما تطلب من الله، فطلب الشفاعة من غيره شرك كما قال تعالى ﴿قل لله الشفاعة جميعًا﴾ وما ذكرت عن أهل البيت وغيرهم رضوان الله عليهم من أنهم يملكون الشفاعة وأن طلب الشفاعة من غير الله ليس شركًا.. يرده قوله تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى...﴾ فالآية تدل على أن مشركي العرب ما كانوا يعبدون معبوداتهم من دون الله إلا ليقربوهم إلى الله زلفى لأنهم يعتقدون النفع أو الضر فيهم.

فقال المناظر: فهمت هذا كله ولكن ما تصنع في قوله صلى الله عليه وسلم: (لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه). فرد عليه الشيخ: عليك إثبات هذا الحديث ومن رواه. فإنك لا تستطيع أن تجد له أصلاً. لا في حديث صحيح ولا ضعيف ولا باطل فاستمرت المناظرة ثلاث ليال متوالية. ثم انتهت باعتراف المناظر وتسليمه على مرأى ومسمع من الآلاف العظيمة من الحجاج في المسجد الحرام بأن ما قاله الشيخ هو الحق، وقد لمس الحضور انقطاع حججه وعجزه عن تأييد رأيه، ومد المناظر يده وقبل رأس الشيخ، وشكره عدد من الحضور القريبين منه ورجا الشيخ أن يقبل منه هدية، فقال الشيخ إنني أقبل هديتك بشرط أن أثيبك عليها بهدية مثلها.

الصحافة والإذاعة:

قلنا إن الشيخ - رحمه الله - رجل عامة كما هو رجل علم ودعوة، ولهذا فهو لا يدع مجالاً.. يمكن أن يقول فيه كلمة حق أو دعوة خير أو أمرًا بمعروف أو نهيًا عن المنكر إلا وسلكه. والصحافة والإذاعة كانت في أوائل ظهورها وبزوغها، وكان الشيخ من المبادرين في الإسهام فيها وتبليغ الحق والعلم للناس من خلالها فله نشاط في الصحافة ملحوظ من كتابة المقالات والتوجيهات والردود على مايرى من مخالفات وله في ذلك باع طويل سوف نذكر نماذج منه إن شاء الله.

أما الإذاعة فكان لديه إسهام كبير وبخاصة من الإجابة على فتاوى المستفتين في برنامج عام كان هو أحد أركانه وهو برنامج نور على الدرب، وهو برنامج إذاعي له صيته، فكان الشيخ -رحمه الله- من أوائل من شارك فيه حتى توفاه الله.

وهناك برنامج خاص للشيخ عنوانه (اسألوا أهل الذكر)، يجيب فيه عن أسئلة السائلين الفقهية والاجتماعية. وقد عرف الشيخ بدقة الإجابة في الفتوى؛ بل إنه يعيد سؤال السائل كاملاً غير منقوص عن ظهر قلب لأنه كان كفيف البصر، وحين تسمع فتوى الشيخ أو تقرأها فإنك تدرك غزارة العلم، وأصالة الرأي، وعمق الفكر، ودقة العبارة، وقوة الدليل، وشمول المقارنة فيما يحتاج فيه إلى إيراد المقارنة بين أقوال العلماء ومذاهبهم.

الشيخ مع زواره وضيوفه:

لم يكن الشيخ -رحمه الله- من العلماء الذين يحصرون أنفسهم في ميادين ضيقة، أو يكتفي بمجالس العلم والتعليم؛ بل كان متصلاً بالحياة والأحياء والمجتمع في نواح شتى، ومن أهم أغراضه في ذلك: الدعوة إلى الله، والاستماع لحوائج الناس، والسعي في قضائها، ورفع المظالم عنهم، وإيصال الحقوق إلى أهلها، ومن أجل هذا كان بيته مفتوحًا ومقصدًا للقاصي والداني والصغير والكبير، فترى في مجلسه العالم والأمير، والوجيه والأديب، والتاجر والفلاح، وكل طبقات المجتمع دون استثناء، وكل يأنس بمجلس الشيخ، ومن حكمة الشيخ ودماثة خلقه ولطف معشره أن خصه الله عز وجل بالقدرة على التحدث مع كل واحد بما يناسبه، فلو رأيته وهو يتحدث مع الأمي العامي ليسأله عن أحوال بلده أو طبيعة عمله بل لعله أن يسأله عن أهله وأسرته، فللشيخ إلمام كبير بمعرفة القبائل والأسر وأصولهما مع ما تميز به من حفظ عجيب للأسماء والقبائل والأسر وتاريخها.

ولو رأيته في المطارحات الأدبية والمقطعات الشعرية في سردها، ونقدها، وإصلاح أوزانها، وحل غوامضها، واستحسان الحسن، ورد المعيب؛ بل إن

بعضهم قد يخص مجلس الشيخ بما جادت به قريحته ليلقيه بين يدي الشيخ، راغبًا في التصويب والتوجيه، فالشيخ في ذلك لديه حاسة ذواقة، ومعرفة واسعة باللغة وفقهها ودقائقها، فهو الخبير بالإعراب والآداب.

أما إذا جاءه أصحاب المقامات والمنازل من الأمراء والوجهاء؛ فإنه ينزلهم منازلهم، ويعرف لهم حقهم، مما يجعلهم يدركون ما يخصهم به الشيخ من الاحترام والتقدير الذي يتطلعون إليه، ومن ثم فإنهم يعاودون الحضور إلى مجالس الشيخ مما يفيد منه الشيخ في إيصال مايريد من حق أو دفع ضده.

كما كان كريمًا ذا بذل فقلّ أن يأتي غريب زائر، أو عائد من سفر إلا ويدعوه الشيخ إلى مأدبة يقيمها في بيته، ويدعو لها جمعًا من الناس، مما يتناسب وطبقة الضيف فهو كريم مفضال قد أشرع بيته للضيوف والغرباء.

الشيخ في بيته:

لعل ما مر من صفات الشيخ وطبائعه وأخلاقه في هيبته ووقاره، وانشغاله بالعلم، وكثرة أعماله الرسمية وغير الرسمية، وتعلق الناس به خاصتهم وعامتهم، كل ذلك قد يدعو المطلع على سيرته أن يسأل عن حال الشيخ في بيته ومع أولاده وأسلوبه في التربية.

الشيخ -رحمه الله- استطاع - بتوفيق الله له - أن يجمع بين الهيبة والوقار وخصائص طالب العلم، والأب المربي الحاني الرقيق الشفيق؛ فإن شئته مهيبًا وقورًا محافظًا على الانضباط في البيت فترى من ذلك العجب، وإن شئته أبًا حانيًا قد انطلق مع أولاده وأهله في أحاديث أسرية ومداعبات مع الصغار بحيث يلتفون حوله ويرغبون في مجلسه ويأنسون بأحاديثه فإنك واجد في ذلك شيئًا كثيرًا.

وإنك لتستغرب كيف يجد الشيخ الوقت لمثل هذا مع ما مر بك من وصف دقيق لأعماله وأيامه.

وأكثر ما تكون جلسات الشيخ مع أولاده في مواعيد الطعام، وله جلسة بعد

العشاء يتحلق حوله الأهل والأولاد، يتم فيها مجاذبة أطراف الحديث على نحو ما يجري لدى الناس في بيوتهم، غير أن جلسات الشيخ تتميز في كثير منها بحرص الشيخ فيها على التوجيه والتربية وبيان بعض الأمور والأحوال لأبنائه وبناته مما ينبغي أن يستمسكوا به من أهداب الدين وكريم الأخلاق وما ينبغي أن يجتنبوه من سيّئ الأفعال وذميم الأخلاق والبعد عن قرناء السوء.

كما أن الشيخ يُجَمِّل مجلسه الأسري بشيء من الأدب، والحكايات التاريخية، والقصص ذات المغزى، والمقطعات الشعرية، وقد يطرح بيتًا من الشعر أو أبياتًا فيطلب من أولاده تقطيعه على أوزان بحور الشعر، وهو يلقي الشعر عليهم بطريقة خاصة، ذات تنغيم جميل موزون. ومن أجل هذا تعلق الصغار بأوزان الشعر وبحوره وأوجد بينهم منافسة علمية جميلة.

ولمزيد من الإيضاح والتفصيل؛ فإن الشيخ ذو حرص ومتابعة وعناية فائقة في كل ما يجري حوله من شئون البيت والأهل والأولاد، غير أن له عناية خاصة بأربعة أمور:

أولها: المحافظة على الصلاة جماعة في المسجد: فإن الشيخ في ذلك يقف من أبنائه موقفًا صارمًا لا يقبل فيه التساهل أبدًا ويغضب غضبًا شديدًا ويؤدب أدبًا رادعًا لو حصل تقصير أو تساهل. أجزل الله له المثوبة وتغمده بواسع رحمته.

الثاني: التعليم: فالشيخ كما سبق يحب العلم ويحرص عليه ويقدره، ومن ثم فقد كان حريصًا جداً على أولاده ليحصلوا من العلم قدر طاقتهم، ويبذلوا فيه غاية وسعهم. وقد انتظموا كلهم في المدارس، فكان يتابعهم متابعة عجيبة، ولا يرضى أن يتخلف أحد عن المدرسة، ولا يتهاون في ذلك أو يتساهل، كما كان متابعًا لهم في مسئولياتهم المدرسية، وواجباتهم المنزلية بشكل عجيب، مع ما أعطاه الله من هيبة في ذلك.

الثالث: القرناء والأصدقاء: لقد كان الشيخ حريصًا جداً على معرفة قرناء أبنائه

وجلسائهم وأصدقائهم ومن يرافقهم وله في المتابعة والمساءلة طريقة خاصة بالأسلوب المباشر وغير المباشر.

الرابع: توجيه أبنائه لحسن استقبال الضيوف والأدب معهم واحترامهم وتوقيرهم وتقديرهم والعناية بهم واللباقة في التحدث إليهم وله في ذلك حسن توجيه ومتابعة.

هذه إلمامات عن حال الشيخ في بيته، وللعلم فإن الشيخ خلف تسعة أبناء وأربع بنات، وأبناؤه هم: محمد وعبد الرحمن وعبد العزيز وصالح وأحمد وسعد وإبراهيم وعبد الوهاب وعبد المحسن.

تلاميذه وطلابه:

تقدم الحديث عن علم الشيخ وفضله، وطرقه في التدريس، وحدبه على طلاب العلم وحبه لهم، وحرصه المتناهي على إفادتهم، وشحذ هممهم، وغرس روح التنافس العلمي بينهم، ومن المعلوم لدى الخبير أن مثل هذه الأجواء العبقة بروائح الطيب النفاذة تجذب وتجلب الطلاب من كل مكان، ومن أجل هذا كان -رحمه الله- مقصداً للطلاب يفدون إليه، فتلقى العلم عليه جمهرة كبيرة، سمعوا منه، وتفقهوا عليه، وانتفعوا بعلمه فكم من طالب أرشده إلى السبيل السوي في الأدب والعلم، وهداه إلى المظان في المراجع والمطالعات، ناهيك بالكثير والكثير ممن يستفيد من مثل هذه المجالس بالواسطة في توجيه غير مباشر، ومن أجل ذلك كله فقد هيأ الله له جمهرة من الطلاب والتلاميذ يلتفون حوله وينهلون من معين علمه، يسجلون أقواله، ويدونون آثاره، ويتأثرون بفعاله، ويقيدون فوائده يزينون بها أنفسهم، ثم يبلغونها للناس في حلقات المساجد ومقاعد الطلبة في المدارس والكليات والمعهد العالي للقضاء وجامعة أم القرى ومن أشهر تلاميذه:

- الشيخ عبد العزيز بن صالح، إمام المسجد النبوي، ورئيس المحكمة الكبرى بالمدينة المنورة، وعضو هيئة كبار العلماء، وعضو مجلس القضاء الأعلى؛ رحمه الله.

- الشيخ محمد بن عبد الله بن عودة السعوي؛ عضو رئاسة القضاء، ورئيس محكمة الرياض، ورئيس محكمة الدمام، والرئيس العام لتعليم البنات.
- الشيخ محمد بن عبد الله السبيل ؛ إمام المسجد الحرام وخطيبه، والرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي، عضوهيئة كبار العلماء.
- الشيخ صالح بن محمد اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى، وعضو هيئة كبار العلماء.
- الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ووزير الأوقاف والشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد، وعضو هيئة كبار العلماء.
- الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.
- الشيخ صالح بن أحمد الخريصي رئيس محاكم القصيم؛ رحمه الله.
- الشيخ محمد بن ناصر العبودي أمين عام الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي.
- الشيخ حمود بن عبد الله التويجري قاضي الدمام والزلفي وصاحب المؤلفات المشهورة؛ رحمه الله.
- الشيخ صالح الأطرم عضو هيئة كبار العلماء.
- الشيخ صالح بن غصون رئيس محكمة الأحساء وقاضي التمييز بمحكمة التمييز بالرياض وعضو مجلس القضاء الأعلى.
- الشيخ الدكتور صالح السدلان الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ عضو هيئة كبار العلماء، ونائب المفتي العام وخطيب يوم عرفة.
- الشيخ صالح البليهي صاحب كتاب السلسبيل والمدرس بالمعهد العلمي

ببريدة؛ رحمه الله.

- الشيخ صالح السكيتي المدرس بالمعهد العلمي ببريدة؛ رحمه الله.
- الشيخ الدكتور علي بن مرشد المرشد الرئيس العام لتعليم البنات.
- الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الكليه رئيس هيئة التمييز بالمنطقة الغربية.
- الشيخ صالح بن عبد العزيز الغصن مدير مكتبة الشيخ المترجَم له.
- الشيخ عبد الله السليمان الحميد قاضي جازان والبكيرية وغيرهما؛ رحمه الله.
- الشيخ عبد العزيز الفوزان رئيس محكمة جازان وقاضي التمييز في المنطقة الغربية؛ رحمه الله.
- الشيخ عبد الله المسعري رئيس ديوان المظالم.
- الشيخ حمد الحقيل رئيس محكمة الخرج.
- الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله التويجري.
- الشيخ عبد الرحمن بن دهش قاضي قبة.
- الشيخ سليمان بن أحمد قاضي محكمة بلجرشي.
- الشيخ علي المشيقح مساعد رئيس محكمة بريدة.
- الشيخ علي السالم مساعد رئيس محكمة بريدة؛ رحمه الله.
- الشيخ علي الضالع المدرس بالمعهدالعلمي ببريدة؛ رحمه الله.
- الشيخ عبد الله الخضيري قاضي محكمة عفيف والمدرس بالمعهد العلمي بالمدينة.
- الشيخ عبد الله المحسن المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- الشيخ سليمان بن ناصر العبودي.
- الشيخ عبد الله بن عثمان بن بشر قاضي محكمة التمييز في الرياض.
- الشيخ القاضي إبراهيم الجبيلي قاضي دخنة.
- الشيخ القاضي إبراهيم الزغيبي.

- الشيخ عثمان بن حمد الحقيل مدير عام رئاسة القضاء .
- الشيخ صالح القرعاوي القاضي بمحكمة التمييز بمكة المكرمة .
- الشيخ القاضي محمد بن جابر .
- الشيخ علي بن فايز الدغيري .
- الشيخ القاضي سعد بن إسحاق .
- الشيخ عبد العزيز المسند رئيس تعليم البنات المكلف ووكيل وزارة التعليم العالي .
- الشيخ مقبل العصيمي قاضي الحريق .
- الشيخ سليمان الربيش قاضي التمييز في الرياض .
- الشيخ عبد الرحمن بن سحمان قاضي التمييز في الرياض .
- الشيخ محمد بن الأمير عضو مجلس القضاء الأعلى .
- الشيخ محمد المنصور .
- الشيخ صالح بن مطلق .
- الشيخ القاضي أحمد بن علي الحميدان .
- الشيخ صالح بن عمر بن مرشد؛ رحمه الله .
- الشيخ عبد الفتاح حسن راوة المدرس بالمسجد الحرام .
- الشيخ علي السحيباني قاضي الحفر .
- الشيخ عبد الرحمن الجار الله القاضي في بريدة .
- الشيخ عبد الله السليمان البطي القاضي في بريدة .
- الشيخ عودة بن عبد الله بن عودة السعودي .
- الشيخ ناصر الهويمل .
- الشيخ صالح المقيطيب .
- الشيخ حمود الفائز .
- الشيخ عبد العزيز الربيعة .

- الشيخ محمد الأمير .
- الشيخ محمد بن إبراهيم بن قعود .
- الشيخ عبد الله بن زايد .
- الشيخ صالح النجيدي قاضي التمييز بالمنطقة الغربية .
- الشيخ غيهب الغيهب .
- الشيخ محمد بن إبراهيم الهويش .
- الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز القفاري .
- الشيخ سليمان بن إبراهيم الرشودي .
- الشيخ حمد الجنيدل .
- الشيخ سعود بن دريب .

مكتبته:

من المعلوم ارتباط طالب العلم بالكتاب والمكتبة، ولكن الشيخ - رحمه الله- كان في هذا الباب نادراً من النوادر، فقد كان تعلقه بالكتاب شديداً، وكان شغوفًا بالكتب إلى حدٍّ عظيم، فكان كثير السؤال عن الكتب في شتى الفنون يسأل عنها وعن الجديد من مطبوعها، فإذا ما ذكر له كتاب فإنه يحرص على اقتنائه مهما غلا ثمنه ومهما بعد مناله، حتى أنه كان يسأل وفود الحجاج والعمار الذين يلتقي بهم عن الجديد مما طبع في بلادهم. وبهذا جمع منذ حداثة سنه، بعون الله، وحسن توفيقه، ولطف تيسيره، من نفائس المصنفات و ذخائر الكتب في فنون التوحيد والتفسير والفقه والحديث وعلوم العربية والتاريخ والأدب وغيرها مما تكون به لديه مكتبة قيمة تحتوي تقريبًا على خمسة عشر ألف عنوان مطبوع وعلى ثلاث مئة مخطوط.

مؤلفاته:

لم تكن مؤلفات الشيخ -رحمه الله- مما يتناسب مع علمه الواسع وبذله الكبير

وجهده في التحصيل والمطالعة والإقراء والتدريس، وقد يرجع ذلك إلى أمرين كبيرين:

أحدهما: ما نشأ عليه وما تلقاه من شيوخه من عدم الاحتفاء بالتأليف تواضعًا واكتفاء بما وضعه العلماء الأقدمون؛ فإن الشيخ - رحمه الله- وشيوخه من أئمة الدعوة من المقلين في التأليف جداً، وكأن لسان حاله وحالهم يقول: هل لدينا وقت كاف لنقرأ كل ما كتبوا أو نحيط ببعض ما دونوا.

ثانيهما: الانصراف التامّ للتعليم والتدريس، وقضاء حوائج الناس، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إضافة إلى أعماله الرسمية وعضويته، ورئاسته لكثير من المنظمات والمجامع والمجالس والهيئات، مما لا يدع له وقتًا للإنتاج المتناسب مع هذا العلم الغزير، والفهم العميق، ومع هذا فقد بارك الله في وقته فخلف من الآثار ما يبقى به الذكر ويمتد به النفع - إن شاء الله - من تحرير بعض المسائل والمشكلات والنوازل الفقهية، أو التوجيهات من خلال وسائل الإعلام المتعددة، كما أنه له وقفات ومناقشات ومطارحات مع بعض أهل العلم في مسائل خلافية دونها في رسائل يرد فيها على بعض من اختلف معهم فيها، كما أن له فتاوى على نوعين:

الأول: فتاوى مكتوبة حررها بنفسه -رحمه الله- تمس المستجد من الوقائع والنوازل، أو تحرير بعض المسائل التي كان فيها خلاف بين المتقدمين فدلل فيها وعلل ثم رجَّح، ومن المطالعة فيها يتبين علم الشيخ - رحمه الله - ودقة فقهه، وعمق سبره لغور المسائل وفهم النصوص، ولعل الله أن ييسر نشرها قريبًا فهي في طور الإعداد للطباعة إن شاء الله.

الثاني: فتاوى هي إجابات عن أسئلة السائلين إما من خلال دروسه في مواسم الحج والعمرة أو من خلال البرامج الإذاعية مثل نور على الدرب وبرنامج اسألوا أهل الذكر. وهذه متداولة بين الناس في أشرطة؛ وقد تم تفريغها ويجرى

تحريرها لعل الله أن ييسر نشرها. ومع ذلك فقد صدر له - رحمه الله - في حياته جملة من الرسائل والمؤلفات المختصرة والمقالات في الصحف والمجلات، وهذا إجمال لها:

١- إيضاح ما توهمه صاحب اليسر في يسره من تجويزه لذبح دم التمتع قبل وقت نحره. (توضيح لمسألة حكم تقديم هدي التمتع قبل يوم النحر).
٢- غاية المقصود في التنبيه على أوهام بن محمود (تتعلق بحكم الأضحية عن الميت ووصول الثواب إلى الأموات).
٣- تبيان الأدلة في إثبات الأهلة. (في حكم الأهلة واختلاف المطالع بين البلدان).
٤- الرسائل الحسان في نصائح الإخوان. (مجموعة مقالات توجيهية).
٥- الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة.
٦- توجيهات إسلامية. (مجموعة مقالات توجيهية).
٧- كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر.
٨- هداية الناسك إلى أحكام المناسك.
٩- دفاع عن الإسلام واشتراكية حرام. (في حكم الاشتراكية)
١٠- الإبداع في شرح خطبة حجة الوداع.
١١- الاشتراكية في الإسلام.
١٢- حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب.
١٣- نقد نظام العمل والعمال.
١٤- رسالة في حكم التلفزيون.
١٥- فتاوى (مخطوطة - وهي تحت الإعداد للطبع).
١٦- رسالة في التوحيد.
١٧- تنبيهات على أن جدة ليست ميقاتًا.

كتب طبعت بمشورته أو إشرافه أو تقديمه:

١- تنبيه الغافلين لابن النحاس.
٢- المجموعة العلمية السعودية.
٣- غاية الأماني في الرد على النبهاني.
٤- معارج الألباب في مناهج الحق والصواب.
٥- صيانة الألباب في مناهج الحق والصواب.
٦- تهذيب الآثار للإمام ابن جرير الطبري.
٧- منسك الإمام ابن تيمية.

مرضه ووفاته:

من طبيعة الشيخ - رحمه الله - أنه كان جلداً لا يشتكي ولا يتأوه، ويتحمل من الصبر ما لايتحمل غيره حتى كان يعتل العلل الشديدة ولا يكاد يبدو ذلك عليه أو يثنيه عن أعماله ومهامه، وقد عاش الشيخ -رحمه الله- ثلاثًا وسبعين عامًا. وأصيب في منتصف عام ١٤٠١هـ بمرض السرطان ورغب منه ولاة الأمر - يحفظهم الله - إليه في السفر إلى أمريكا مع أنه لم يخرج خارج البلاد طوال حياته قط فنزل على رغبتهم فسافر مرتين في مدة متقاربة، وقد كان على درجة من التحمل والصبر، وعدم الشكوى والأنين مع أن هذا المرض ذو آلام شديدة ولكنه كان صابراً محتسبًا؛ بل كان يستقبل زواره ويتحدث إليهم في كل شأن في أمورهم الخاصة والعامة، وكان يتابع أعماله الرسمية والبيتية بشكل عجيب؛ بل كان يهتبل الفرص لإلقاء الكلمات التوجيهية والتذكيرية وبخاصة حينما يزوره كبار المسئولين؛ فإنه يذكرهم بمسئولياتهم ولا سيما فيما يتعلق بشأن الإسلام والتأكيد على الاستمساك بالعقيدة، وأن هذه البلاد لم تقم ولم يعزها الله إلا بالعقيدة. كل ذلك وهو يعاني ما يعاني من الآلام المبرحة، وحاله يقول: (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله)، حتى إن الأطباء المعالجين كانوا يتعجبون من شدة تحمله وتجلده حتى قال

أحدهم وهو أمريكي: إني لم أر في حياتي مثل هذا الرجل، إذا دخلت عليه كأنه لا يشكو من أي مرض مع أني أعرف نوع المرض ومدى تأثيره النفسي والعضوي على صاحبه.

وبعد عيد الفطر عام ١٤٠٢هـ اشتد عليه المرض، وهو صابر محتسب لا يظهر عليه شكوى ولا جزع، وفي يوم السبت ١٦ ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ دخل في غيبوبة حتى وافاه الأجل يوم الأربعاء الساعة الثالثة بعد الظهر يوم ٢٠ ذي القعدة من عام اثنتين وأربع مئة وألف هجرية في مستشفى الهدا في الطائف.

وصلي عليه يوم الخميس في المسجد الحرام بعد صلاة العصر ودفن بمقبرة العدل بمكة المكرمة، رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة وأخلفه في عقبه خيراً لقاء ما قدم لدينه وأمته وللعلم وأهله، وقد كان يوم وفاته يومًا مشهودًا ينطبق عليه قول الإمام أحمد -رحمه الله-: (موعدكم يوم الجنائز). كان فيه الأمراء والعلماء والوزراء والمسئولون وطلبة العلم ومحبو الشيخ من الخاصة والعامة. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

نماذج من رسائله وفتاواه

رد في حكم تحديد مكان ذبح الهدي في منى، وذبحه قبل يوم النحر

من عبد الله بن محمد بن حميد إلى جناب الأخ المكرم الأستاذ/ .... المحترم

السلام عليك ورحمة الله وبركاته، وبعد: فقد اطلعت على ما كتبتم في مجلة.......... عددها.............. حول ما يتعلق بهدي التمتع والقران، وحيث إننا نعلم أن رائدكم الإصلاح، وقصدكم من البحث الاستفادة والوصول إلى سبيل الحق أحببنا ننبهكم على بعض النقاط في كلمتكم المشار إليها.

أولاً- قلتم: إن عبد الله بن حميد يرى أن الحكومة مسئولة وملزمة بتهيئة الوسائل والأسباب التي تمكن الفقراء من الانتفاع، فنقول نعم وذلك بناء على أن

الحكومة الآن هي حصرت الناس في مكان واحد معين للذبح، لا يذبح في غيره، فهذا الحصر لابد من فكه بأي وسيلة ممكنة تكفل المصلحة، وقد التزمت الحكومة بجعلهم لا يذبحون إلا بمكان واحد وعينته لهم، فما الذي خصص مكانًا واحدًا والرسول صلى الله عليه وسلم يقول منى كلها منحر؟ فالحكومة حينئذ إذا رأت أنها لابد أن تتدخل للمصلحة فيلزمها أن تراعي المصلحة من جميع جوانبها، ولا يتم ذلك إلا بتعدد المجازر ولو أمكن أن يترك الناس كل يذبح حيث شاء من منى أو مكة بدون ضرر على المهدي والمطعم لزم ذلك، ولكن قد يحصل الضرر بذلك على العموم فللمصلحة وانتفاء المحذور عملت الحكومة مجزرة واحدة، أما الآن وقد كثر الناس وكثرت الذبائح فيلزم أن تتعدد المجازر بقدر الحاجة، والحكومة هي التي تحدد الأمكنة وترعى تنظيمها بما يكفل المصلحة، ولا يخالف النصوص الشرعية.

ثانيًا- نسبتم لنا أننا اعتمدنا على حديث أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: «منى كلها منحر، وفجاج مكة طريق ومنحر» وهذا الحديث الذي ذكرتم لم نستند عليه، ولا نعلم أن لأسامة حديثًا في هذا الموضوع بهذا اللفظ، فلا يحسن منكم أن تنسبوا لأحد حديثًا بدون تأكد، وإنما الذي اعتمدنا عليه في هذا البحث هو حديث جابر بن عبد الله وغيره من الصحابة.

ثالثًا- قلتم: إن مناسك الحج تختلف بين أركان وواجبات وسنن. . . إلخ، ثم قلتم إن هذا قياس مع الفارق الكبير: فما هو الفارق؟ أليس الذي قال: «وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف» هو الذي قال: «نحرت ها هنا ومنى كلها منحر» وقال: «خذوا عني مناسككم». فماهو الفارق بين أن نأخذ عنه من المناسك الوقوف بعرفة والطواف بالبيت ورمي الجمار ونحوها وندع الأخذ بالاقتداء به بنحر الهدايا يوم النحر كما فعل وأمر صلى الله عليه وسلم؟.

رابعًا- قلتم: إن ذبح الهدايا تَعَبُّدي فما مرادكم بهذا؟ أهي حتى الآن لم تتضح لكم الحكمة في إهداء الهدايا في هذا المكان الشريف؟ فالمعروف عند العلماء أن التعبدي هو الذي لم تتضح حكمته ولا يعقل معناه، وقد أمرنا الشارع به، فهذا هو الذي يسمى تَعَبُّدياً، أما الهدي فمعقول المعنى وواضح الحكمة بالنص والإجماع، ولا يخفى ذلك على أدنى طالب علم، قال الله تعالى: ﴿ فإذا وَجَبَتْ جنُوبها فكلوا منها وأطعموا القانعَ والمُعْترّ كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون﴾: ولذلك خصصت لمساكين الحرم من المقيمين فيه والوافدين إليه فهي ظاهرة الحكمة، معقولة المعنى، والمقصود منها التوسعة على مساكين الحرم لا كما زعمتم في وجهة النظر في أحد أعداد جريدة............. حينما أبديتم اقتراح من اقترح توزيعها على الفقراء في جدة والمدينة.

خامسًا- قلتم: إن أراء الفقهاء اختلفت في تحديد زمانها ومكانها... إلخ، فهذا شيء أوضحناه في كتابنا وأن الخلاف فيه شاذ، حيث إنه لم يستند على كتاب ولا سنه ولا إجماع لكنه قياس، والقياس لا قيمة له مع وجود النص الصريح الصحيح بل النصوص الكثيرة.

سادسًا- قلتم: ولم يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر ولا نهي صريحان يحددان الزمان والمكان، وهذه العبارة الأليق بكم أن تقولوا لا نعلم فيها شيئًا فهذا أورع وأدق في التعبير، أليس قوله صلى الله عليه وسلم: «خذوا عني مناسككم» أمروفي لفظ «لتأخذوا عني مناسككم» وهل هناك أمر أصرح من هذا الأمر؟ بل إن هذا من جوامع الكلم الذي خص به صلى الله عليه وسلم، وقد روى الإمام أحمد عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم: «كل عرفة موقف، وارفعوا عن بطن عرقة، وكل مزدلفة موقف، وارفعوا عن بطن محسر، وكل فجاج مكة منحر وكل أيام التشريق ذبح» وروي أيضًا من طريق آخر عن نافع بن جبير عنَ النبي صلى الله عليه

وسلم، وقد قال الإمام علي رضي الله عنه في الأيام المعدودات: «هي ثلاث يوم النحر ويومان بعده. اذبح في أيها شئت، وأفضلها أولها».
ألم يحصل التحديد في هذه الأحاديث وفي فعله صلى الله عليه وسلم وأمره بأن نقتدي به في جميع المناسك، وذبح الهدي من جملتها هذا هو الذي فهمه الصحابة -رضي الله عنهم- حيث يقول السائل منهم: يارسول الله لم أشعر حلقت قبل أن أذبح، قال: اذبح ولا حرج. فهو لم يسأل إلا أنه رأى أن فعله خالف فعل الرسول، وقد تقرر لديهم الاتباع له فيما يؤدي من المناسك لقوله لهم: «خذوا عني مناسككم» ألم يكن وجود الهدي مانعًا للرسول صلى الله عليه وسلم من الإحلال؟ كل ذلك لعدم تمكنه من نحره قبل وقته المحدد. أضف إلى ذلك بالنسبة للمكان قوله صلى الله عليه وسلم: «نحرت هاهنا ومنى كلها منحر، وكل فجاج مكة طريق ومنحر» وأي فائدة من هذه الأخبار من الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المجتمع العظيم إذا لم يدل على مكان الذبح؟؟.

سابعًا- تخصيصكم الأمر والنهي وأنهما لم يردا عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع يفهم منه أنكم لا ترون فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تقريره حجة، وهذا خلاف ما عليه أهل العلم من أن أوجه السنة ثلاثة: قوله صلى الله عليه وسلم، وفعله، وتقريره. أما الأمر والنهي فهما أحد هذه الأشياء الثلاثة.

ثامنًا- قلتم: وما يدرينا أنه لو جعلها عمرة لأهدى؟ فقد يقول الغير: وما يدريكم أنه لو جعلها عمرة لما أهدى؟ بل هذا هو الحق، حيث أمر أصحابه الذين لم يسوقوا الهدي أن يجعلوها عمرة ولم يهدوا بعد التحلل منها. ثم إن العبرة بفعله صلى الله عليه وسلم وأمره، فالأحكام تتعلق بما صح عنه من قول أو فعل أو تقرير، ولا تتعلق بما يفرض ويظن وقوعه. والحديث واضح الدلالة أن الذي منعه صلى الله عليه وسلم من الإحلال هو سوق الهدي، وقد

نحره في وقته الذي شرع فيه، وأمر الناس باتباعه في ذلك وفي غيره من المناسك.

تاسعًا- قلتم: إن صفة حجته لم تكن ملتزمة ولا التزم بها جميع الأئمة... إلخ.

فعلى قولكم هذا لم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم «خذوا عني مناسككم» معنى، ولا يلزم الأخذ بأفعاله، ولسنا بحاجة إلى الأحاديث الواردة في صفة حجته صلى الله عليه وسلم لا حديث جابر الطويل ولا غيره، بل نكتفي بما ورد عنه من أمر أو نهي فقط.

هذا هو معنى كلامكم وقد جعلتم حجتكم على هذا اختلاف الفقهاء في بعض مسائل الحج، حيث فرقوا بين ماهو ركن وما هو واجب أو سنة، وعلى هذه القاعدة التي قَعَّدتم؛ أن كل مسألة اختلف الفقهاء فيها لا يجب أن يلتزم فيها شيء من أفعاله صلى الله عليه وسلم بدليل وجود الخلاف فيها بين الفقهاء، ولم تعلموا أن المسائل التي فرق فيها الفقهاء -رحمهم الله- إنما هي مسائل ورد فيها أحاديث أخر: ولكمال علمهم، ودقة فهمهم جمعوا بين أقواله وأفعاله وتقريراته، وفرقوا ذلك التفريق حسبما فهموا من ذلك، أما مسألة الهدايا فجواز تقديم ذبحها قبل يوم النحر لم يستند إلى دليل شرعي، ووجود الخلاف لم يعتبره أحد من أهل العلم من الأدلة الشرعية في حين أنهم مجمعون على وجوب الهدي، ولم يختلفوا في ذلك في حق المتمتع والقارن.

عاشرًا- قلتم حقًّا إن اختلافهم كان رحمة، فما هي هذه الرحمة؟ ومتى كان الاختلاف رحمة؟ بل هو مذموم ذمه القرآن، وعابته السنة. يقول تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء﴾، ويقول تعالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾، ويقول تعالى: ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات﴾. ولو كان الخلاف رحمة لما كان الإجماع الذي هو الأصل الثالث حُجَّة، وفي حديث

العرباض بن سارية: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عَضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة». وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص: «إنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم في فهم الكتاب». فهذه الآيات والأحاديث تذم الاختلاف وتعيبه وتمنع منه، وأما ما يروى: اختلاف أمتي رحمة فهو لا أصل له كما قاله السيوطي وابن الديبع والسخاوي.

أحد عشر- قولكم: وإلا فمن يقول إن باستطاعة الحجاج جميعًا أن يصلوا الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر بمنى يوميْ الثامن والتاسع... إلخ؟. نعم باستطاعة كلِّ حاج يريد التمسك بالسنة أن يفعل كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن يقتدي به في أفعاله صلى الله عليه وسلم، بل هو فعل عامة المسلمين اليوم -ولله الحمد- وقبل اليوم هو أنهم يفعلون كما فعل الرسول ولم يشق عليهم ذلك في ذهابهم إلى منى ومنه إلى عرفات ومنها إلى المزدلفة، مع أن البقاء في منى في اليوم الثامن وليلة التاسع إنما هو سنة وليس بواجب.

اثنا عشر- وقد تقرر لديكم كما تقرر لدى غيركم أنه صلى الله عليه وسلم ذبح هديه يوم النحر، وتقولون: إنه لم يقل لا تذبحوا قبل يوم النحر، فقد جريت في هذا على قاعدتكم الغريبة أنه لا عبرة إلا بأمره ونهيه فقط ولا تعتبرون سوى ذلك من فعل أو تقرير. وإذا تنزلنا جدلاً بالإجابة عن هذا الإيراد الذي لا يستحق الجواب: فنقول هل قال صلى الله عليه وسلم لا تقفوا بعرفة اليوم العاشر، أو لا تقفوا فيها اليوم الثامن، أولا تطوفوا والبيت عن يمينكم، أو لا تطوفوا أكثر من سبعة أشواط، أو أقل، في طواف الحج أو غيره، أو لا ترموا أكثر من سبع حصيات أو لا تصلوا من الصلوات أكثر مما هي عليه أو أقل، إذًا على هذه القاعدة كل فعل فعله صلى الله عليه وسلم ولم ينهنا عن الزيادة فيه والنقص. لنا أن نزيد وننقص حيث لم يرد فيه أمر أو نهي، وأن

أفعاله صلى الله عليه وسلم ليست حجة، فحينئذ لاعبرة بقوله «صلوا كما رأيتموني أصلي» كما لم تعتبروا قوله «خذوا عني مناسككم» في هذا الموضوع.

ثالث عشر- سميتم عدم جواز الذبح قبل وقته المحدد شرعًا تضييقًا، ونحن لا نرى فيه تضييقًا ولا ضيقًا فالذي وَسِعَ الرسول وأصحابه والتابعين والأمة أجمع لا يضيق عمن قصد الاتباع وتقيد بقيود الشريعة، أما المتحرر من بعض القيود الشرعية فلا شك أنه يتضايق أيضًا من مسائل أخرى سوى هذه مما يلزم الاقتداء به صلى الله عليه وسلم، وما الذي أطاح بكثير من البلاد الإسلامية عن سلطتها وعزها إلا ترك التقيد بأحكام الشريعة من كل وجه وكل من يسعى لطلب الحلول من غير ما جاء به الرسول لابد وأن يقع في هذه الردى.

رابع عشر- قلتم: إن ابن حميد لايجيز تأخير الذبح عن أيام النحر فاعلم وفقني الله وإياك أن هذا القول ليس قولي، وإنما هو فعل الرسول وأصحابه وجمهور العلماء كما سبق في حديث جابر الطويل، وقول علي رضي الله عنه، وهو قول ابن عباس، وعطاء، والأوزاعي، وغيرهم من الصحابة والتابعين، ولا عبرة بمن شذ بدون مستند شرعي، ووجود الخلاف ليس دليلاً كما تقدم بيانه، لا سيما في مثل هذا الخلاف الشاذ، ولو كان كل خلاف وجدنا فيه سهولة ويسر ومنفعة فيما يبدو لنا أخذنا به لوقعنا فيما هو أعظم من هذا، فمسألة المتعة متعة النساء حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أباحها. ومن ارتكبها الآن اعتبر مرتكبًا للزنا، مع أنه يوجد في هذا الوقت وقبله من يجيزها. وأكل لحم الحمر الأهلية يوجد لبعض أهل العلم قول بجواز أكلها وإباحة المتعة مصلحة لعدم الوقوع في الزنا، ولعدم إضاعة المال في أكل لحوم الحمر والاستفادة منها. فهل يساندُ في ذلك نظرًا لوجود بعض المصلحة وللخلاف فيها؟ وقد صرح أهل العلم أن من تتبع رخص

العلماء للأخذ بها فسق.

خامس عشر- كررتم قولكم هل ثبت عن الرسول أمر أو نهي فهذا التكرار يدل على عظيم اعتمادكم أنه لا عبرة بفعله أو تقريره صلى الله عليه وسلم وهذا خلاف قول الأئمة بل فيه إهمال لوجهين من أوجه السنة.

سادس عشر- قررتم أيضًا أن الهدي تعبدي، والمعروف لدى العلماء كما تقدم أن التعبدي هو الذي لم تظهر حكمته، وهذا -ولله الحمد- واضح المعنى معقول الحكم دل على المقصود منه الكتاب والسنة. ثم إنكم استبعدتم أن يكون له تحديد ابتداءً وانتهاءً كالوقوف بعرفة وكأنكم اعتقدتم الإجماع على ابتداءً الوقوف وانتهائه حيث جعلتموه مضرب المثل، وفاتكم وجود الخلاف في ابتداء الوقوف يوم عرفة، وقد قال الإمام أحمد: «إنه من فجر يوم عرفة» والأئمة الثلاثة يقولون: «ابتداؤه من الزوال يوم عرفة» وكل منهم مستند إلى دليل من قول أو فعل عنه عليه السلام كما هو معروف، وقد وضعتم هذه الجملة بصيغة الاستفهام استبعادًا لوجود الخلاف في ابتدائه وقد خالف فيه أحد الأئمة وربما كان من وجه قوي من حيث الدليل كما خالف أحد الأئمة في وقت الذبح ولم يستند إلى نص من كتاب أو سنة فعلى الإنسان أن يحكم بما جاء عن الله ورسوله ويجعل العقل في جانب بعيد عن الاستحسانات المخالفة لهديه صلى الله عليه وسلم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مسألة: فيمن قال إن الربا هو العقبة الكأداء في تقدم المسلمين

وسئل -عفا الله عنه- عمن يقول: إن تحريم الربا هو العقبة الكأداء في تقدم المسلمين، حيث حرم الدين الإسلامي المعاملات الربوية التي هي مناط القوة، ومصدر الشرف لذا تأخر المسلمون عن مجاراة غيرهم من الأمم. وأصبحوا عالة فقراء. الغني منهم لا تنمو ثروته ولا تزيد، والفقير في غاية من الفقر والهوان، فلو

تعاملوا بالربا لنمت ثروتهم وكثرت أموالهم، وصاروا بالمكان اللائق بهم، وهذا رأي كثير ممن تعلموا في المدارس بل ومن هم أكبر منهم!!.

فأجاب: لاشك أن هذا الرأي خطأ مبني على أوهام لم تقل عن علم واختبار، ولا عن تجربة ونظر صحيح، ولا عن معرفة عن حكم تحريم الربا؛ فإن المسلمين في هذه الأيام لم يحكموا دينهم في شيء من أعمالهم ومكاسبهم، ولو حكموه في تحريم الربا لما استدانوا بالربا، وجعلوا أموالهم نهبًا وسلبًا لغيرهم، ثم لو سلمنا أنهم تركوا الربا من أجل دينهم فهل يقول هؤلاء الجهلاء الذين زعموا أن الربا هو العقبة الكأداة في عز المسلمين وقوتهم وإنماء ثروتهم، فهل يقولون نظير هذا في ترك الزارعة والصناعة والتجارة وخلودهم إلى البطالة والكسل لأجل الدين؟ في حين أن الإسلام رغب في الزراعة والصناعة والتجارة وحث عليها في آيات كثيرة من القرآن وأحاديث عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلماذا لم نتقن سائر أعمال الكسب المؤدي إلى إنماء الثروة والباعث للعمل والنشاط، لنعوض على أنفسنا ما فات من كسب الربا المحرم، فما من محرم منعت الشريعة منه إلا وفتحت طريقًا أحسن وأنفع من ذلك الممنوع، كما ذكرنا فيما تقدم من الصناعة والزراعة؛ فالدين الإسلامي يأمرنا بأن نسبق الأمم في كل شيء نافع للبشرية، خال عمّا فيه ضرر لاحق بالدين أوالدنيا، غير أن المسلمين -في الأغلب- نبذوا دينهم ظِهريًا فلم يبق عندهم منه سوى تقاليد وعادات أخذوها بالوراثة عن آبائهم ومجتمعهم، فمن زعم أن الدين الإسلامي مانع لهم عن الترقي والتقدم، مؤخرًا لهم إلى الورى فقد عكس القضية وأضاف إلى جهله جهالة شرًا منها، وإنما يكون هذا من عدم البصيرة والتأمل في حالة الأمة من بداية نشأتها إلى ما انتهت إليه، ولو عرف المسلمون اليوم أنفسهم لعرفوا ماضيهم المجيد كما يعرفون حاضرهم، ولكن جهلهم بأنفسهم وعدم قراءتهم لماضيهم هو الذي أوقعهم فيما هم فيه من الشر والبلاء العظيم، فهم لا يعلمون من أين أُخذوا، ولا كيف سقطوا من بعد ما ارتفعوا، وما ارتفعوا إلا بالدين القويم الذي ضمن لهم السعادة والعز والرقي. وماسقطوا إلا بنبذه وراء

ظهورهم، وجهلهم لتعاليم دينهم وقد أفضى بهم الجهل إلى أنهم يجعلون علة الرقي والسعادة علة السقوط والهبوط والانحطاط .

فتوى: هل وجود النزاع والمخاصمة في العين يعتبر عيبًا ؟

سئل عن رجل باع على رجل آخر عقارًا أو منقولاً، فبعد لزوم البيع وثبوته ادعى رجل آخر بأن المبيع له أو له فيه استحقاق، وأراد المشتري فسخ البيع تضررًا من المخاصمة والمنازعة وطول الأخذ والرد. هل مثل هذا يعتبر عيبًا يفسخ المشتري لأجله البيع أم لا ؟

الجواب لاشك أن مثل هذا عيب واضح ولاسيما في مثل هذا الوقت الذي يطول فيه النزاع ويذهب الوقت، وقد ذكر الأصحاب في تعريف العيب أنه ما نقص به عين المبيع أو ما نقصت قيمته عادة في عرف التجار وإن لم تنقص عينه فهو عيب، ومسألتنا هذه من هذا القبيل لو علم أن في المبيع منازعات وخصومات لنقصت قيمته نقصًا بينًا توقيًا من ذلك الضرر البين وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مسودته على المحرر ولا يطمع في إحصاء العيوب لكن يقرب من الضبط ما قيل «إن كل ما يوجد بالمبيع مما ينقص العين أو القيمة نقصًا يفوت به غرض صحيح يثبت الرد إذا كان الغالب في جنس المبيع عدمه» والغالب في جنس المبيعات السلامة من الخصومات والنزاع إذا ظهر إن في المبيع خصومة أو شبهة لأحد لتوقف الكثيرون أو الأكثر عن الشراء ولم يبذل فيه قيمة مثله والله أعلم .

مسألة في القسامة .

وسأله أحد القضاة عن رجلين أطلقا النار على رجل آخر فأصابته إحدى الطلقتين في رقبته فمات، وأن ورثة المقتول زوجة وأم وابن له عامان وبنت صغيرة، وأن وكيل الورثة البالغين والوصي على القاصرين ادعيا على واحد من الاثنين أنه هو القاتل، والآخر وإن أطلق النار فقد أخطأت طلقته القتيل، وقد أقام الوصي والوكيل البينة بتعيين القاتل ولم نقبل شهادتهم لأن البينة من قبيلة القتيل وبينهم

وبين المدعى عليهم عداوة ظاهرة ورأينا أنها قسامة. فهل تؤجل حتى يبلغ القاصر وماذا يكون على الثاني؟ هل يكتفي باليمين منه ويخلي سبيله أم لا.؟

الجواب: إذا كان الحال على ما ذكر فلا يخفي أن من شروط القسامة أن يكون في الورثة ذكر مكلف؛ فإن كانوا نساء أو قاصرين كمسألتنا هذه أو نكل الورثة يحلف المدعى عليه خمسين يمينًا ويخلى سبيله؛ فإن لم يرض الورثة بأيمان المدعى عليه وداه الإمام من بيت المال، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ودّى الأنصاري من عنده لما لم ترض الأنصار بيمين اليهود، ولأنه لم يبق سبيل إلى الثبوت، ولم يوجد ما يوجب السقوط فوجب الغرم من بيت المال لئلا يضيع المعصوم هدرًا، وهذا الذي قلناه هو منصوص كلام الأصحاب -رحمهم الله- والرواية الثانية عن أحمد يحلف العصبة الأدنون إلى الميت وإن لم يكونوا وارثين، يحلف خمسين يمينًا، وهو قول في مذهب مالك واختاره طائفة من الحنابلة كالشريف أبي جعفر وأبي الخطاب وابن البنا وغيرهم لقوله صلى الله عليه وسلم للأنصار يحلفون خمسون منكم، ومعلوم أن القتيل عبد الله بن سهل ليس له وارث سوى أخيه عبد الرحمن، والمذهب الأول وهو قول أكثر العلماء. أما الرجل الثاني الذي أطلق النار فلا بد من تعزيره وسجنه على حسب ما تقتضي المصلحة ردعًا له ولأمثاله ولا يكتفى منه باليمين. والله أعلم.

الهوامش:

١ - جريدة **عكاظ** - السنة الرابعة والثلاثون، العدد ٩٥٦٣ في ٧/ ٤/ ١٤١٣هـ.

٢ - وهو المسمى الآن: جامع خادم الحرمين الشريفين.

٣ - معناه: أن ما طاب لك صحبته وعشرته؛ فإنه لايدوم لك بقاؤه لما قضت سنة الله بافتراق الأحبة بموت أو ارتحال.